باب ذكر البرص من الآباء والأمهات

فمنهم البرصاء أمّ شَبِيبِ بن البَرْصَاء ، وهو شَبِيبُ بن يزيد ابن حمزة بن عوف بن أبي حارثة بن نُشْبة[1] بن غَيْظ بن مُرّة ابن سعد بن ذُبْيان[2] ، وهذه البرصاءُ[3] بنتُ الحارث بن عوف الحمال وكنيته أبو أسماء ، وزعموا أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم خطبها إليه فقال : بها سوءٌ يعني بَرَصًا ، فقال النبيُّ : ليكن كذلك ، فيرجع النبي[4] وقد برصت . وهذا لا يكون إلا أن تكون قد شاركت أباها في كراهة النبيِّ عليه السلام بمعنى استحقّت به ذلك .

* * *

ومن هؤلاء البرص ، أبو عَبِيد بن الأبرص الشاعر ، ربما غلب هذا الاسمُ الأوّل كما غلب على يَرْبُوع بن حنظلة ، ولذلك قال أوس ابن حجر :

كان بَنُو الأبرصِ أقرانَكمُ فأدركُوا الأحدث والأقْدَمَا

والدليل على ذلك أنه لم يقرعّ ببني يربوع[5] عامرَ بن مالك إلّا وهو راضٍ عنهم .

---

(١) في الأصل : شبة ، والتصحيح من جمهرة الأنساب ٢٤٢ وفيها قبل هذا الاسم : ابن مرة بن نشبة إلخ .

(٢) في الأصل : دينار بدل ذبيان ، وهي تحريف .

(٣) اسمها أمامة بنت الحارث .

(٤) لعل صحة هذا اللفظ أبوها بدل النبي ، وانظر هذا الخبر في الجمهرة بالرقم السابق ، وانظر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم صفحة ٢٢٧ .

(٥) في الأصل : يقرع بني يربوع وهو تحريف ، وانظر ما ذكرناه من صحة هذا الاسم في صفحة ٦٠ .

ومنهم البرصاءُ أمُّ سليمان بن البرصاء ، وقد روَى وسَمِع الناس منه .

* * *

ومنهم الأَبرص أبو حارث بن الأَبرص[١] ، والحارث الذى يقول :

أَتَعَجبُ من سَرَارِى أُمِّ عَمْرو ... وما أنا فى تأَسِّيهم بغُمرِ[٢]

فكم من فارسٍ لم تَزْدَرِيـهِ ... لِحَى الفتيان فى عُرفٍ ونُكْرِ[٣]

لقد آمرتُه فعصى إِمَـارى ... بأَمر حَزَامةٍ فى قتل عمرو[٤]

---

(١) هو الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عقيل ، وكان من خبر أبياته التالية أنه حضر يوم شعب جبلة « وهو يوم معروف كان لبنى عامر على تميم » وكان الحارث شديد الوطأة عليهم ، ووقتها كان ابن عمه قيس بن المتنفق بن عامر قد أسرع وراء عمرو بن عمرو بن عدس قائد بنى تميم ليأسره ، ثم أقبل الحارث بن الأبرص فى عدد من الفرسان ورآه عمرو فقال لقيس : إن أدركنى الحارث قتانى وفاتك ما تلتمس عندى من فداء ، فهل أنت محسن إلى وإلى نفسك ؟ تجز ناصيتى وتجعلها فى كنانتك ولك العهد لأفين لك ، ففعل ، وأدركهما الحارث وهو ينادى : اقتل اقتل ، لكن قيساً لم يعره اهتماماً وأطلق عمراً حتى لحق بقومه . ثم إن قيساً خرج فى الشهر الحرام إلى عمرو يستثيبه وتبعه الحارث بن الأبرص ، فلما قدما على عمرو قال لابنة أخيه آمنة بنت زيد — وكان الحارث قتل أباها يوم جبلة — قال لها : اضربى على قيس الذى أنعم على عمك هذه القبة ، فذهبت فرأت الحارث أجملهما وأهيأهما فظنته السيد المتفضل فضربتها عليه ، فلما رجعت إلى عمها سألها : على من ضربت القبة ؟ فنعتت له نعت الحارث ، فقال : ضربتها على رجل قتل أباك وأمر بقتل عمك ، فجزعت مما قال ، ثم إن عمراً خرج وقال للحارث : ياحار ، ما جاء بك ؟ ! فوالله ما لك عندى نعمة ، ولقد كنت سيئ الرأى فى ، قتلت أخى وأمرت بقتل ، قال : بل كففت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك ، فقال : ما أرى لك عندى من يد ، ثم إن عمراً تذمم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم أوسع على قيس فى العطاء ، فانطلق الحارث وهو يقول الأبيات ، انظر الخبر فى النقائض ٦٧٥ ، الأغانى ١١/١٤٥ .

(٢) الغمر : من لم يجرب الأمور ، هذا ولم يرد هذا البيت فى المرجعين السابقين ، ورد بدلا منه فى الأغانى قوله :

أما تدرين يا ابنة آل زيد ... أمين بما أجن اليوم صدرى

(٣) الرواية فى الأغانى :

فكم من فارس لم ترزئيه ... فتى الفتيان فى عيص وقعر

(٤) رواية النقائض والأغانى : بأم عزيمة بدل بأمر حزامة .

أمرتُ به لتَخْمُشَ حَنَّتَـاهُ فضيَّع أمْرَهُ قيسٌ وأمـرى[1]

* * *

ومنهم البرصاءُ أمُّ خالد بن البرصاء[2] ذكر أن عياضَ بن جَعْدبةَ[3] قال : استعمل النبي عليه السلام على النَّفْلِ فى بعض الأيّام[4] أبا الجَهْم ابن حُذَيْفة ، فجاء خالد بنُ البرصاءِ فتناول زِمَامًا من شَعَر فمنعه أبو الجهم ، فقال خالدٌ : نصيبى أكثرُ من هذا ، فعلاه أبو الجهم بعصًا فشجَّهُ مُنَقِّلَةً[5] فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : خذ خمسين شاة ، فمازال يزيد ويأبى حتى قال له النبيُّ عليه السلام : « لا أَقُصُّك من عاملٍ عليك » . وعلى ذلك المعنى قال أبو بكر الصديق : لا أقصُّ وَزَعَةَ اللهِ[6] .

* * *

قال : وكان خارجةُ بن سِنَان بَقِيراً ، والبقير الذى يبقرُ عن أُمِّه فيُسْتَخرج لتمامٍ ، قالوا : ماتت أمه وهى تَطْلُق به فاسْتُخْرج من بطنها

---

(١) تخمش أى أنها تخمش وجهها بأظافرها حزناً عليه ، وحنتاه ، أى زوجتاه ، هذا ولم يرد البيت فى الأغانى بل ورد بيت آخر مكانه هو :

رأيت مكانه فصددت عنه فأعيا أمره وشددت أزرى

(٢) هو خالد بن مالك بن قيس الليثى ، كما ورد نسبه فى الحديث عن أخيه الحارث فى الإصابة الترجمة ١٤٧٤ ، وانظر ما ورد هنا فى ترجمة أبى الجهم بن حذيفة فى الإصابة الترجمة ٢١٤٣ .

(٣) سند الرواية فى الإصابة هو : قال الزبير بن بكار ، حدثنى محمد بن سلام ، حدثنى يزيد عن عياض قال ... الخ .

(٤) قال فى الإصابة : هو يوم حنين .

(٥) المنقلة كمحدثة : الشجة التى تنقل منها فراش العظام .

(٦) انظر النهاية لابن الأثير ١٨١/٥ .

فسُمِّى خارجة ، ويزعمون أن البقير من الناس والخيل يُعرف ذلك فى لون جلده .

* * *

قالوا : وكان مَسْلمةُ بنُ عبدِ الملك أصفَر الجلد كأنَّه جرادةٌ صفراءُ ، وكان يلقَّبُ جرادة ويقال له جرادةُ مروان ، وكان بشر ابن مروان مُصْفَرًّا .

* * *

وكان عمرُ بن عبيد الله بن مَعْمَر[1] أحمرَ غليظًا يحتجمُ فى كل سبعة أيّام مرَّة ، ولذلك كان يقال : أفرسُ الناس أحمرُ بنى تَيْم وحمارُ بنى تميم يُريدون[2] عَبَّاد بن الحُصَين ، ولذلك قال عمر بن عبيد الله فى خطبته لعائشة بنت طلحة : تخرجون من عند أصفرَ[3] إلى أحمرَ مشهور .

* * *

وأما قولهم فى الأصفر القحطانيِّ فإنا لا ندرى أىَّ المعانى أرادوا : الصفرةَ التى تنسب إليها الألوانُ أم اصفرارَ الجلدة كجلد جرادة

---

(١) التيمى القرشى ، سيد بنى تيم فى عصره ، من كبار القادة الشجعان الأجواد فى عصره ، ولى لمصعب بلاد فارس وحرب الأزارقة سنة ٦٨ هـ ، وكان قبل ذلك على البصرة ، ثم أرسله عبد الملك لقتال أبى فديك الخارجى سنة ٧٣ هـ ، فقتل من أصحابه ستة آلاف وأسر ثمانمائة وعاد بعد ذلك إلى عبد الملك . فكان من جلسائه ، توفى سنة ٨٢ هـ ، انظر المحبر ٦٦ ، ١٥١ ، كامل ابن الأثير ٤/١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) فى الأصل : يزيد وابن الخ ، وهى تحريف وخطأ .

(٣) يعنى به بشر بن مروان وكان قد بلغه أنه خطبها فأرسل إليها قائلا : أنا خير لك من هذا المبسور ، وأنا ابن عمك وأحق بك ، فبنى بها بالحيرة ، انظر المردفات من قريش ٧١ ، الأغانى ١١/١٤٨ .

مروان ؟ وقد خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويزيد بن المهلّب على تحقيق الرواية فى الأصفر القحطانى ولم يكن بين ألوانهما وبين الصفرة سببٌ ، وخرج على ذلك ثابت بن نعيم الغامدىّ بالشام ، وكان كأنه لم يُر مغموسًا فى الوَرْس[١] ، وخبّر أبو عبيدة قال: رأيته مَصْلُوبًا .

* * *

ومن الصُّفْرِ يزيدُ بن أبى مسلم[٢] ، قالوا : وكان كأنّه الزَّعْفران ، واسمُ أبى مسلم دينار ولم يكن مولى الحجّاج ، وكان يرى قتل الأُمَّة ، زعم بعضُهم أنه كان يرى رأى الخوارج ، وكان لَسِنًا خطيبًا شديدَ العارضة حَسَنَ المَلْبَس حَسن المـأكل ، لا يخون ولا يَدَعُ أحدًا يخون ، ولم يكن يحبُّ الرلائد إلّا لقتل النّاس ، وكان على ديوان الرّسائل فلشهوته لقتل الناس سأل الحجّاج أن يولّيه ديوانَ الاسْتخراج ، وكان يكنّى بأبى العلاء .

* * *

ومن الصُّفْر المضايق ، القاسمُ التغلبىُّ الفارسُ الخطيب ، قتله المنصورُ بعد خروجه مع إبراهيم بن عبد الله[٣] صَبْرًا ، وخبّرنى من رآه

---

(١) الورس : نبات كالسمسم ، أصفر مائل إلى الحمرة تصبغ به الملابس .

(٢) وال من الدهاة فى عهد بنى أمية كان من موالى ثقيف وجعله الحجاج كاتباً له فظهرت مزاياه ، واستخلفه على خراج العراق وأقره الوليد بن عبدالملك ، ولما مات الحجاج عزله سليمان واستقدمه إليه فأعجب به ، ثم ولى إمارة افريقية فقتل بها سنة ١٠٢ هـ ، انظر المحبر ٤٩٢ ، كامل ابن الأثير ٥/٣٨ .

(٣) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أحد الأمراء الأشراف الشجعان ، خرج بالبصرة على المنصور فبايعه عدد كبير ، وخافه المنصور فتحول إلى الكوفة ، وكثرت شيعته فاستولى على البصرة وسير الجموع إلى الأهواز وفارس وواسط ، وهاجم الكوفة وحدثت بينه وبين المنصور وقائع هائلة إلى أن قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥ ، انظر كامل ابن الأثير ٥/٢٠٨ .

يوم المِرْبَد وهو أصفر على بِرذَون أصفر عليه عمامةٌ صفراء وخفتان أصفر .

* * *

وكان كل شيء من المأمون على لون جَسَده إلَّا ساقيه ، فإنه كان فى لونهما صُفرة ، وكان يجد فى رجليه حَصَرًا شديدًا[١] ، وكان ربّما لبس فى الصيف خُفَّ لبُودٍ وهو جالس فى الخَيْش .

* * *

وزعم ناسٌ أن العِيصَ بنَ إسحاقَ كان أَصْفَرَ اللون ، ولذلك قيل للرُّوم بنو الأَصفر[٢] ، والرُّومُ تزعم أنهم أُضيفوا إلى الذَّهب الأَصفر .

* * *

ومن البُرصان المجاهيل ، قال الكلبيُّ : حدَّثنى رجلٌ من جِرْم ، قال : وذهب عنّى اسمه ، قال : وَفَد رجلٌ من النَّخَع يقال له قيسُ ابن زرارة بن الحارث[٣] فى نَفَرٍ من قومه وكان نصرانيًّا فقال : رأيتُ فى طريقى رُؤيا فقَدِمت على النبيِّ عليه السلام وأسلمتُ وقلت : يا رسول الله ! إنّى رأيت فى سفرى هذا إليك رُؤيا ، قال : وماهى ؟ قلت : رأيتُ أتانًا لى تركتها فى الحىِّ وأنها ولدتْ جَدْيًا أسفَع أحْوَى[٤] ، ورأيتُ عجوزًا شمطاء خرجتْ من الأرض ، ورأيت النعمان بن المنذر

---

(١) الحصر ، التضييق والحبس .

(٢) فى الأصل : بنى الأصفر وهى خطأ .

(٣) ذكر ابن حجر أن اسمه زرارة بن عمرو النخعى ، انظر الإصابة الترجمة ٢٧٨٩ ، وهو بعد أن أفاض فى ذكره أورد ما رواه ابن الكلبى وساقه الجاحظ هنا فى نهاية الترجمة المذكورة .

(٤) الأسفع وكذلك الأحوى : الأسود المشرب بحمرة .

فى أعظم ما كان مُلكه ، عليه قُرْطان ودُمْلُجَان[1] ، ورأيت نارًا أقبلت وهى تقول : لَظَى لَظَى ، بصيرٌ وأعمى ، أطعمونى أكْلكُم ، قال : فحال بينى وبينها ابن لى يقال له عمرو ، فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « أما الأتان التى وضعتْ جَدْيًا فهى جاريةٌ لك أحببتَها فولدتْ غلامًا فانتفيْتَ منه » ، قال : نعم فما بَالُه أسْفَع أحْوى ؟ قال : ادْنُ منّى ، فدنوتُ منه فقال لى : أبِك بياضٌ ؟ قال : قلت : نعم ، والذى بعثك بالحقِّ ، ما رآه إنسىٌّ علمته ، قال : وأما النار فإنها فتنةٌ تكونُ فى بعض الزمان وإن مِتَّ أدركَتْ ابنَك ، وإن مات ابنُك أدْركتْك[2] ، وفيه كلام غير هذا .

* * *

أبو الحسن وغيره ، عن ابن جَعْدَبة ، قال : كان بأبى جهل بَرَصٌ بإليته وغير ذاك ، فكان يَرْدَعُه بالزعفران[3] ، فلذلك قال عتبة ابن ربيعة : وسيعلم مُصَفِّرُ استِه أيُّنا ينتفخُ سَحْرُه[4] ، ويقول

---

(١) الدملج : حلية تحيط بالعضد .

(٢) فى الإصابة : أن هذه الفتنة كانت الفتنة التى حدثت على عهد عثمان رضى الله عنه ، وأن الرجل طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له حتى لا يشهدها ، فدعا له ، فشهدها ابنه عمرو بن زرارة ، وكان أول رجل فى الأرض خلع طاعة عثمان .

(٣) يردعه بالزعفران : أى يلطخه به .

(٤) كان عتبة بن ربيعة أحد زعماء قريش الذين خرجوا لاستنقاذ العير حينما علموا أنها وقعت فى يد المسلمين ، على أنهم حينما علموا أن أبا سفيان قد نجا بها أهاب عتبة بالقوم أن يرجعوا عن حرب محمد وأصحابه ، إلا أن أبا جهل قال كلمته المأثورة تلك : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، والسحر : الرئة ، وانتفاخها كناية عن الجبن ، ثم أجج نار الحرب ، فلما بلغ عتبة قول أبى جهل استعد للحرب وقال : سيعلم مصفراسته من انتفخ سحره أنا أو هو ، ومصفر الاست فى الأصل كلمة تقال لذوى الرفاهية والنعمة من الناس ، قال السهيلى فى الروض الأنف : إن أول من قيلت فيه هو قابوس بن النعمان أو قابوس بن المنذر ، لأنه=

بعضهم[١] : بل كان مَسْتُوهًا مِثْفَارًا ، ولكن عتبة كَنَّى عن ذلك ، قالت مخزومٌ : فقد قال قيسُ بن زُهَير لأصحابه وهو يريدُهم على قَصِّ أثر حُذَيفة بن بدرٍ وأصحابه[٢] : إن حُذَيفةَ رجلٌ مُخَرْفَج مَحَرَّقُ الخيلِ نَازِهٌ[٣] ولكأنى بالمصفِّر استَه مستنقعٌ فى جَفْرِ الهباءة ، فاتَّبعوهُم فألفَوْهم على تلك الحال التى ظَنَّ وقَدَّر .

وقد بَلَغنى أيضًا بأن حُذَيْفة كان مَسْتُوهًا مِثفارًا ، ولم نر أحدًا قال ذلك ، وإنما هذه الكلمة تقال لأصحاب التَّرف والدَّعَة .

* * *

عبيد الله بن محمد ، عن حماد بن سَلَمة ، عن عطاءِ بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحَجَرُ الأسودُ من الجنة ، كان أشدَّ بياضًا من الثَّلج حتى سَوَّدتْه خطايا أهلِ الشرك » .

* * *

= كان مرفهاً لا يغزو فى الحروب ، فقيل له : مصفر استه ، يريدون صفرة الخلوق والطيب ، وهم يقصدون البدن كله ، لكنهم للمبالغة فى الذم يخصون بالذكر ما يسوء أن يذكر ، انظر سيرة ابن هشام ٦٢٣/١ ، ٦٢٤ ، الأغانى ١٨٨/٤ .

(١) هم الأنصار ، وكانوا يكيدون المهاجرين من بنى مخزوم بقولهم إن أبا جهل وهو من بنى مخزوم كان يصفر استه لأنه كان مستوهاً مثفاراً أى مأبوناً ، وأنه كان يفعل ذلك تطييباً لمن كان يعلوه ، وترد بنو مخزوم على ذلك بأن هذه الكلمة قيلت قبل ذلك فى حذيفة بن بدر ، ولم يقل أحد إن حذيفة كان مأبوناً ، انظر مجمع الأمثال عند قولهم : أخنث من مصفر استه ٢٥١/١ .

(٢) انظر فى هذا : يوم جفر الهباءة فى مجمع الأمثال ١١٥/٢ ، ١١٦ .

(٣) المخرفج : الناعم العيش ، ومحرق الخيل ، أى أن ركوب الخيل كان يحرق فخذيه ، وهذه الكلمات كلها محرفة فى الأصل ، والتصحيح من مجمع الأمثال .

وزعم ابن الكلبي وغيره ، أنَّ خالدَ الأَصْبَغ بن جعفر بن كلاب[١] وُلد أبيض النَّاصِية[٢] .

• • •

وزعم أبو سعيد الرفاعيُّ ، عن مُقاتل ، أن الأَبرصَ الذى دعا له عيسى بنُ مريمَ ولد أبرص .

• • •

وزعم بعضهم أنَّ أمَّ الفرزدق كانت بَرْصَاء ، أما عَوَرُها وعَمَى غالب فهذا ما لا يدفعونه لأن الشاهد عليه من الأشعار كثير ، فأما ما ادّعوا عليها من البَرَصِ فلسبب قول جرير[٣] :

ترى بَرَصًا بأَسْفَلِ اسْكَتَيْها كعُنْفُقَةِ الفَرَزْدَقِ حين شَابَا[٤]

وإنما هذا سَفَهٌ وتَفَحُّشٌ يُلْتَمَسُ به غيظ المَسْبُوب[٥] ، وأكثر من يتكلَّم بمثل هذا الغضبانُ السفيه الضيِّق الصدر ، والذى يقول لصاحبه يا ابن الفاعلة ، ليس يُقَدِّرُ فيه أن النَّاس يجعلون قوله ذلك شاهدًا ،

---

(١) فى الأصل : خالد بن الأصبغ ، وهو خطأ ، فهو خالد الأصبغ بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ، كان سيد غطفان فى يوم النفروات وقتل فيه خالد زهير بن جذيمة العبسى ، ثم اجتمعت تحت قيادته هوازن كلها بعد ذلك ، قتله الحارث بن ظالم المرى وهو فى جوار النعمان فى حديث طويل ، انظر المحبر ١٩٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ؛ جمهرة الأنساب ٢٨٤ ، مجمع الأمثال تحت قولهم : أفتك من الحارث بن ظالم .

(٢) الناصية : قصاص الشعر .

(٣) ديوانه ٦٩ ، والرواية فيه بمجمع اسكتيها ، العقد الفريد ٥/٣٠٠ ؛ النقائض ١٠٥٣

(٤) الاسكتان بكسر الهمزة : جانبا الفرج ، والعنفقة : ما نبت على الشفة السفلى من الشعر .

(٥) كان جرير بهذه المناسبة يقول : إذا هجوت فأضحك ، انظر العقد الفريد بالرقم السابق .

إنما هو تشفّى غضبان يريد بذلك الفُحْشَ وإدْخالَ الغيظِ ، وهذا كما ذكر عمرو الأعور الخاركيّ[١] أمّ عمرو المخلخل الشاعر الذى كان يهاجيه :

وقد طَوَّلتِ الإسْبَ فصار الإسبُ قاريّه
علاها برص الصدغ فصارت برَدانيّه

* * *

وقال أبو الحسن وغيره : قدم يَزيدَ بن أُسَيْد السُّلمى[٣] رسولٌ من قِبَلِ المنصور ، فدخل الرسول وكان شديد السواد وعليه عمامةٌ خضراءُ وعليه خفتان أحمر فجعل يتكلم ، فقال يزيد : حَسْبُك يا غراب البين .

* * *

قالوا : وكان عمرو بن عمرو بن عُدَس أبرصَ . قتله أَنسُ الفوارس فقال جرير :

هل تذكُرونَ على ثَنِيَّةِ أقْرُنٍ أَنَسَ الفَوارس يومَ يَهْوي الأسلعُ

---

(١) فى الأصل : الخارجى ، وهو خطأ ، وهو أبو عثمان عمرو الأعور الخاركى ، أزدى بصرى ، أصله من خارك قرية بفارس على البحر ، شاعر ماجن خبيث كان يهاجى عمرو المخلخل مولى ثقيف ، انظر معجم الشعراء ٢١٩ ، ٢١٧ ، رسالة إلى أبى الفرج ٣٢٨ .

(٢) البيتان شديدا التحريف في الأصل ، وقد ذكر الاستاذ ابراهيم صالح انهما موجودان رواية عن الجاحظ في كتاب الورقة لابن الجراح صفحة ٦١ ، والرواية فيه رمص بدل برص وهما بمعنى ، والصدع بدل الصدغ ، والاسب : شعر الركب او الفرج .

(٣) وال من رجال الدولة العباسية ، ولى أرمينية للمنصور ولولده المهدى ، وغزا الروم سنة ١٥٨ هـ فافتتح حصوناً من ناحية قاليقلا ، وهو يعرف بيزيد سليم الذى تداول فيه الناس وفى يزيد بن حاتم قول ربيعة الرقى :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

وكان ربيعة قد ذهب إلى يزيد السلمى فاستقل ما أعطاه ، وذهب إلى يزيد بن حاتم فأكرمه إكراماً بالغاً ، انظر المحبر ٣٠٥ ، كامل ابن الأثير ٦/٢٠ .

قال : وهجا بعضُ الشعراء وَلَدَهُ بذاك ورماهم بالبَرَص ، فقال :

وما كان أفواهُ الكلابِ وبُقْعُهَـا لِتَرْحلَ إلَّا فى الخَمِيس العَرَمْرَم

أما البُقَيعُ فقد قلنا فيه ، وقد زعموا أنهم إنما قيل لهم أفواهُ الكلاب لمكان البَخَر ، وقد كذبوا ، إنما يقال ذلك لأصحاب الخطوم والخراطيم ، وكلُّ سَبُع يكون طيِّبَ الفم كالكلب وما أشبهه فإنه لا يوصف بذلك ، وإنما يعترى ذلك مثل الأسد والصقر وكل شىء جاف الفم ، ألا ترى أن طيب الأفواه عامٌّ فى الزَّنْج وفى كلِّ مجنون يسيل لُعابه ، ومن اسْتنكه النائم السَّائلَ الفَمِ والنائم الجافَّ الريق عرف اختلاف ما بينهما .

ويزعمون أن الظباء أطيب البهائم أفواها ، وفيها جملة ليست فى شىء من الحيوان ، وذلك أن أبعار الظبى موصوفة بطيب البنية ، نعم ، حتى صاروا إذا سَلَوُا السمن طيَّبُوه بها ، قال الفرزدق :

من السَّمْن رِبْعِىٌّ يكون خِلَاصُهُ بأَبْعارِ أرآمٍ وعُود بَشَامِ[1]

والدليلُ على نتن أفواه الأُسْد قول الحكم بن عَبْدل لمحمد بن حسان ابن سعد[2] :

---

(١) لم يرد البيت فى ديوانه ، والربعى نسبة إلى ما يؤخذ من السمن فى الربيع الرابع أى المخضب وخلاصه بكسر الخاء فضمها ما خلص منه والبشام شجر عطر الرائحة .

(٢) التيمى ، وكان على خراج الكوفة ، فكلمه ابن عبدل فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خراجه ، فقال : أماتنى الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا ، فانصرف ابن عبدل ثم هجاه بعد ذلك بالقصيدة التى منها هذا البيت ، وهى قصيدة طويلة ظل يزيد فيها حتى وفاته ، انظر الأغانى ٤١٣/٢ — ٤١٤ ، وانظر البيت الوارد هنا أيضاً فى الحيوان ١٥٥/٢ .

ونكهتُه كنكْهَةِ أَخْدَرِيٍّ شَتِيمٍ شَابِكِ الأَنياب وَرْدِ[1]

* * *

ومن البرصان ، أيمن بن خريم بن فاتك ، كان عند عبد العزيز ابن مروان فدخل عليه نُصَيب أبو الحجناء مولى بنى ضَمْرة فامتدحه ، فقال عبد العزيز : كيف ترى شعره ؟ قال : إن كان قال هذا فليس له ثمن ، وإن كان رواه قيمته كذا وكذا ، فقال عبد العزيز : هو والله أشعرُ منك ، قال : لا والله ، ولكنك طَرِفٌ مَلُول[2] ، قال : أنا طرفٌ ملولٌ وأنا أُؤاكلك منذ كذا وكذا ؟ وكان بأيمن بياضٌ فى يده ، فتركه أيمنُ ولحق ببشر بن مروان ، وقال :

ركبتُ مِنَ المُقَطَّم[3] فى جُمَادَى إلى بِشْرِ بن مَرْوَانَ البَرِيدَا
فلو أعطـــاك بشرٌ ألـفَ ألـفٍ رأى حقًّا عليـه أنْ يَزِيـــدَا

فأعطاه بِشْرُ بن مروان مائة ألف ، وكان أيمنُ يَخْضِبُ يَدَه ليغطِّيَ البَيَاضَ بالوَرْسِ[4] ، وكان بشرٌ لا يؤاكله ، فاشتهى بشرٌ لبنًا فأتى

---

(١) النكهة : الرائحة ، والشتيم : الفظيع المنظر العابس ، وشابك الأنياب : أى ذو أنياب متداخلة متشابكة ، وفى الأصل : شارك ولا معنى لها ، والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

(٢) انظر هذا الخبر فى الأغانى ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ ، عيون الأخبار ٦٦/٤ .

(٣) الطرف على وزن كتف : من لا يثبت على امرأة ولا صاحب ، والملول : الكثير الملل والسأم لمن يعاشره .

(٤) كان بشر يتولى العراقين لعبد الملك بن مروان ، انظر المعارف ٢٥٥ .

(٥) فى الأصل : إلى المقطع ، وهو تحريف .

(٦) الورس : نبت ينبت فى بلاد العرب والحبشة والهند ، وهو يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء .

بثريدة لبن ، فقال لحاجبه : انظرْ من يأكل معى ، فخرج فوجد أيمنَ ابن خُرَيم ، فلما رآه بشرٌ ساءه دخولُه ، فقال : يا أيمن اشتهيتُ البارحة لبنًا ، ثم إنّى نويتُ الصوم فلا أرى أحدًا أحقَّ به منك ، فأكل أيمنُ فلم يلبث أن صفر اللبن ، فقال نُصَيبُ :

تُعَالِجُ بالحُصِّ[1] البَيَـاضَ فلم تجـدْ
دَوَاءومَا دَاوَاكَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَـا

• • •

ومن البرصان ، جعفرُ الخيّاط ، وهو جعفرُ بن دينار ، اصطنعه المأمونُ فقاد الجيوش وفتح الفتوحَ وولِىَ الولايات ، وله فى منزله مُروءةٌ ظاهرة ، وهو يُعَدُّ فى هذه الأقوال ، وفى الطوال اللُّحى ، وفيمن لا يكاد يسكت .

• • •

ومن البرصان ، عَلُّويَهْ المغنِّى[2] ، وهو علويه الأعسر ، وأبوه الذى كان يقال له : ابن القدرىّ ، وكان راوية للغناء عالماً به جيد الصَّنْعة ، وهو أحدُ مطربى عصره ، لم يكن فى ذلك العصر أبلغُ فى

---

(١) الحص : المورس يصبغ به .

(٢) اسمه على بن عبد الله بن سيف ، كان جده من الصغد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن حيان ، وأحضرهم معه إلى المدينة فخلسته ، وأعتق بعضهم ولم يعتق الباقين فقتلوه ، انظر الأغانى ١١/٣٣ ، مختار الأغانى ٥/٨٤ .

الإطرابِ من مُخارقٍ[١] وعلويه ، وكان يُضْرِبُ بالعَسْراءِ من غير أن يغيّر الأوتار ، وكان صحيحَ الضرب صافي الوتر ، وكان إذا تحدّث بعد أن يضع العودَ من يده لم يُستوحشْ من حُسن حديثه إلى غنائه وصوته ، فإن حكى تَصَوَّرَ فى كلِّ صورة وأضحك الثَّكْلانَ والغَضْبان ، وكان جيد الفرشة ظريف الآنِيَة .

وحدثنى عن نفسه حديثين عجيبين ، قال لى ونحنُ فى مَنْزِل بعض مَيَاسِيرِ أهل الكَرْخ : لو أخبرك مُخْبِرٌ أن عَلُّويه دخل الكَرْخَ اليوم ليبتاعَ طَيْلساناً مطيقاً إذا كان لا يملك طيلساناً أكنتَ تُصَدِّق ؟ قلت : لا والله ، قال : فإن الأمر كما خبَّرتك ، قال لى : وأحدّثُك بحديثٍ هو أغربُ من هذا وأعجب ، رُبّ والله ما أصبحتُ فى يومِ دَجْنٍ[٢] من أوّله إلى آخره فيتَّفقُ ألاَّ يبعثَ إلىّ أحد ولا يمكننى أن أبعثَ إلى بعضِ إخوانى لتوقُّعى فى كلِّ حالٍ رسولَ من لا أمتنعُ من إجابته ، فلا يبقى من أولئك أحدٌ إلاَّ والذى يمنعهُ من الإرسال إلىّ أنَّه لا يجوزُ أن يكونَ الخليفةُ وأشباهُ الخليفة يتَّفقُ أمرهم وقولُهم على مثلى ، لا يتفقُ أن يتركه الجميعُ إلاَّ توهّمَ كلُّ واحد على حِدَتِهِ أنَّ غيرَهُ قد سَبَقَ إلىّ ، واتفق منهم التدافُعُ وبقيتُ أتشاءبُ وحدى ،

---

(١) وهو أبو المهنأ مخارق بن يحيى الجزار ، إمام عصره فى فن الغناء ، ومن أطيب الناس صوتا ، كان الرشيد يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم ، واتصل بعد ذلك بالمأمون وزار معه دمشق ، توفى سنة ٢٣١ ، انظر النجوم الزاهرة ٢٦٠/٢ ، الأغانى ٧١/٣ ، ٧٢ .

(٢) يوم الدجن : اليوم المظلم المطير ، وكانوا يستحبون قضاء هذا اليوم فى الشراب وسماع الغناء وعدم الخروج من البيوت .

وإنما يتهيأُ ذلك أن يدعى[١] فى ذلك اليوم الملك الأعظم ويَتَّفِقُون كلُّهم على هذا الرأى .

وكان وَضحُه فى حلقومه حيث تغطِّيه اللحية ، وذكر يُوحَنَّا بن مَاسَوَيْه[٢] أنَّ موتَهُ إنما كان لسبب دواء كان دفعَهُ إليه لهذه العلَّة ، فلما دعا به فى السَّحَر غَلِطَ الخادمُ فسقاهُ دواءً كثير الأَفيون[٣] فشربه فمات ، وكان يُكنَّى أبا الحسن .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى البرصان وأسمائهم وأنسابهم وصفاتهم وأقدارهم والدليلُ على ذلك والشاهد عليه بالشِّعر الصحيح والحديث المُسْنَدِ ، وسنذكر شأْن العُرْجان وأَسْمائِهِم وأَنْسَابهم وصفاتِهم وأَقْدارهم بمثل ذاك من الأَشعار الصحيحة والأَسانيد المرضية .

* * *

ومن العُرجان ، الحارثُ الأَعرج الملكُ الغَسَّانِىُّ ، وهو الحارثُ

---

(١) هكذا فى الأصل ، وهى خطأ وصحتها يدعوني ، ولعله أثبت ما نطق به بلغة عامية .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٥٠ .

(٣) هاتان الكلمتان غير واضحتين فى الأصل ، ولعل صحتهما ما أثبت ، هذا وقد ذكر فى سبب موته أنه شكا جرباً ليحيى بن ماسويه فبعث إليه بدواء مسهل وطلاء فشرب الطلاء واطلى بالدواء فقتله ذلك ، انظر مختار الأغانى ٨٤/٥ .